واجب الشاب العربي

يعيش الشاب العربي اليوم في عالم تتسابق أممه ، وتتنافس همومه ، وتتعارك دوله أشد المعارك في أكثر الأحيان ، وكل أمة من هذه الأمم تبذل ما في وسعها ، وتقدم كل ما تُطيقه في سبيل تكوين جيل جديد من بنيها وفتياتها ، يكون عدة الحاضر وأمل المستقبل والمعتصم عند النوازل ، والملجأ لدى الكوارث . . والأمة العربية الكريمة التي حملت أرفع الرسالات ، وأدّت للإنسانية أكبر الأمانات ، وأذاعت بين الناس أجمل المبادىء ، ودعت بين العالمين بأحسن الدعوات ، دعوات السماء والنور ، والروح والأخلاق ، وتلتفتُ وراءها فترى لها في ماضيها تاريخاً مجيداً تليداً ، كله المفاخر والمآثر ، وتتطلع الى الغد القريب أو البعيد فيدفعها الأمل ويمدوها الرجاء ؟ هذه الأمة العظيمة الكريمة المجيدة تحتاج في نهضتها الحاضرة التي نشاهد براعمها وبراكيرها ، جيلاً جديداً ، قويّاً في جسمه ، ناضجاً في عقله ، نبيلاً في خلقه ، فما هو واجب الشاب العربي في هذا الميدان ، حتى يكون شبلاً قويّاً فتيّاً من أشبال ذلك الجيل الجديد ؟ ! .

أمام الشاب العربي واجبات كثيرة وتبعات جمّة ، لا بدّ له من أن يعنى بها ويلتفت إليها ويحبس نفسه عليها ، ولا نستطيع في مجال محدود كهذا المجال أن نفصل أو نحلل ، أو نحصي ونستقصي ، فحسبنا إذن أن نطوف بعناوين واجبات ورءوس مسائل ندع جزئياتها والحديث عن تفاصيلها لأهمية ذلك الشاب العربي الذي تكفيه الإشارة وتضيء له العبارة !! .

يحتاج الشاب العربي في هذا العصر الناهض المتنافس أهله وأبناؤه أن يدرس جغرافية وطنه الأصغر ، وهو مسقط رأسه ودولته التي نشأ فيها وتحت حكمها يعيش ، وجغرافية وطنه الأكبر ، وهو سائر الأقطار العربية الشقيقة ، وكذلك تاريخ وطنيه الصغير والكبير ، فإنه من المؤسف المؤلم أن نرى الكثرة الغالبة من شباب العرب هنا وهناك لا يعرفون من تاريخ بلادهم أو جغرافيتها إلاّ النذر اليسير ، ولذلك شباب معمر في جهلهم بتاريخ الأقطار

العربية وجغرافيتها أكثر من غيرهم وأصدق ، لأسباب كثيرة ليس هذا موطن عرضها ، وسائل إن أردت التأكد من هذا شابًّا مصريًّا عن مواضع الأقطار العربية أو مدنها الكبرى أو تاريخ جغرافيتها أو ماضي تاريخها ، فإنه لن يجيبك جواباً ، ولن يرد بما تبغيه غناءً

ولقد تسائله عن أقطار أوربا وأمريكا فيحدثك عنها حديث العارف بدقائقها قبل جلائلها ويسرد لك أسماء الكتب التي قرأها عن تلك الأقطار وأممها بلادة وطبائعها فليس شاب عنده حساب !

والشاب العربي لا بدَّ له من أن يعرف الآلام السياسية والاجتماعية والمادية التي يشكو منها كل عربي أو مسلم ، فإن الشعور بالنقص أول درجات الكمال كما يقولون ، ولقد كان لك أيها الشاب العربي في الزمن الماضي وطن عزيز ، وتاريخ كريم ، وآباء وأجداد قادوا وسادوا ثم جرت الأحداث والنكبات على أخلافهم فذلوا وهانوا ، وحسبك أن تسمع في ذلك أنة الشاعر العربي إذ يصوِّر ذلة الوطن العربي بعد عزته ، وضعفه بعد قوته ، ونزوله بعد ارتفاعه فيقول:

مالي وللنجم ؟ يرعاني وأرعاه ! أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه !
لا تحسبي عبثًا يشكي وصبًّا أهون بما في سبيل الحب ألقاه
إني تذكرت ، والذكرى مؤرِّقة مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
أنَّى اتجهت إلى الإسلام في بلدٍ تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
وبح العروبة : كان الكون مسرحها فأصبحت تتوارى في زواياه !
كم صرَّفتنا يدٌ كنَّا نصرِّفها ! وبات يملكنا شعبٌ ملكناه !!

وها هو ذا شاعر العرب والاسلام ، أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقي بك ، يهنئ المغفور له الخديوي عباس حلمي الثاني بخروجه الى الحج في قصيد طويل رائع ، يختمه بأبيات هي أنات وزفرات وحسرات على حاضر الشرق للعربي الاسلامي ، وفيها دعاء صارخ وأملٌ حارٌّ ورجاء قوي في أن يدفع الله عن العروبة هذا البلاء ، وأن يحرض أهلها ويوفقهم لكي يعملوا كما عمل سواهم في ميادين العلم والصناعة والحضارة ، فيستردوا مجدهم وماضيهم الزاهر الناضر ، فيقول مخاطباً الخديوي عباس :

إذا زرت يا مولاي قبر محمدٍ وقبَّلت مثوى الأعظم العطرات
ونافست من العين الدموع مهابة لأحمد بين السفر والحجرات

وأشرق نورٌ تحت كل ثنيـــة ... وضاع أريج تحت كل حصاة [١]
لمظهر دين الله فوق تنوفة ... وباني صروح المجد فوق فلاة [٢]
فقل لرسول الله ياخير مرسل ... أبنك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران : ذكرٌ وسنةٌ ... فما بالهم لا يعـــملون لآت ؟
وهـذا زمان أرضه وسماؤه ... عجال لقـدام كثير حيـاة
مشى فيه قومٌ في السماء وأنشأوا ... بوارج كالأبراج متنحـــات
فقل : رب وفّق للعظائم أمتي ... وزيّنْ لها الأفعال والعزمات [٣]

هذه صرخات أوحى بها ما أصاب أقطار العروبة من آلام ونكبات ، ومن المؤلم أن تكون هـذه النكبات بعيدة عن قلوب الشاب العربي ، ولو أنهم أدركوها وأحاطوا بها لدفعتهم الى تغيير ما هم فيه من ذل وخسران ...

وكذلك يجب على الشاب العربي أن يعرف الآمال التي يأملها وطنه ويرجوها في حاضره ومستقبله ، فإن الإنسان الذي لا يحس بأمله لا يمكن أن يبرأ منه ، والشخص الذي لا يدري ما تحتاجه صحته وسلامتـه يكون عرضة للآفات والنوازل ، فاذا أهمل وفرّط ثم ابتلي وأصيب ، فلا يلومنّ إلاّ نفسه ، وما أصدق ذلك الذي قال :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمة ... فتنوء منه بفادح الأثقال
ظلم الرعية كالعقاب لجهلها ... ألم المريض عقوبة الاهمال !

وهذا الخاطر السابق يسير بنا إلى خاطر آخر يتصل بهذا الموضوع ، هو أنه يجب على الشاب العربي أن يحصل في هذا العصر على أكبر قدر تمكن من العلم والمعرفة والثقافة ، لأننا في عصر لا تتنافس فيه الأمم بأجسامها أو سعة أراضيها أو كثرة عددها أو انفساح مداها ، بل نحن في عصر العلم والفكر ، في عصر الكتاب والمهد ، في عصر المذياع والبرق والبارجة والمدرّعة وحاملة الطائرات والقنبلة الذرية وتحطيم الذرة ، في عصر الوصول الى أدق ما في الكون من أسرار ، في عصر استخدام الهواء والماء والسماء وجوف الأرض ،

(١) الثنية : طريق الشعب ، وضاع : فاح . (٢) تنوفة صحراء واسعة . (٣) هذا أحسن ما يهدى إلى الذين يهاجمون كتاب « هدي هي الاطلال » — المحرر

وهذا كله لم يتيسر إلا بالعلم والفكر والثقافة التي أنتجت روائع العقل البشري وعبقريات الفكر الإنساني ، وما من أمة اليوم تستطيع أن تشارك في الأمور الدولية ، أو تساير ركب الحياة العالمي إلا إذا كان لها نصيب موفور من الثقافة والعلم ، ونظرة واحدة إلى تاريخ بلادك أيها الشاب العربي تدلك على صحة ما أقول ، فهؤلاء هم أجدادك العرب ، كانوا بالأمس البعيد يعيشون فوق رمال الصحراء عيشة بدوية ساذجة ، لا يدرون عما في العالم من نظم أو حياة ، ولا يخرجون عن دائرة جزيرتهم الجرداء ، ثم انبعث فيهم ذلك النور القوي الساطع الذي حمل مشكاته محمد العظيم نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ، فأخرجهم بشريعته من الظلمات الى النور ، وفتح بحفنة منهم مشارق الأرض ومغاربها ، وأخذ سلطان العرب ينبسط وينبسط حتى أصبح في الدولة العباسية ملكاً كملك بني التاميز اليوم لا تغيب عنه الشمس ولا يحده الخيال ، وما قامت عظمة هذه الدولة العباسية إلا على العلم والفكر والثقافة ، فقد وقف الخلفاء والأمراء من بني العباس جهودهم وأوقاتهم وأموالهم على الترجمة والتأليف والتجديد في علوم العقل والنقل ، وزخرت دور الكتب والحكمة بروائع العقل الإسلامي ، سواء أكانت هذه الروائع من إنتاجه الخالص أم من ترجمته وهضمه وتهذيبه . ولما سكنت ريح هذه النهضة العلمية العظيمة أخذ الضعف يدب في جسم الدولة الاسلامية ، وأخذ المسلمون يتبددون في أنحاء الأرض كما يتبدد الهلم الجبل !! . .

وحيما يبهرنا نور العلم وضياء المدنية ، يجب أن يكون ذلك بمقدار ، وأن يقف عند حد محدود ، فالشرق العربي الاسلامي ، مصدر النبوات ، ومنبع الرسالات ، ومبعث الدعوات الروحية ، لا يستطيع بحال من الأحوال أن يسير مع الغرب في ثقافته المادية الحسية الى نهاية الشوط ، لأننا نحن العرب نعرف شيئاً آخر له جلاله وجماله ومكانه الرفيع بجوار العلم والمادة ، ذلك الكنز الثمين هو الروح ، فإذا ما نهضت عظمة الغرب على الجسم والعمل والمصنع والمتجر والآلة فحسب ، قامت نهضة الشرق — أو يجب أن تقوم — على مثل هذا أو بعض هذا بجوار أقباس من هدي الروح ، وأنوار من مشكاة الأخلاق ، ولذلك كان واجباً على كل شاب عربي ألا ينخدع طويلاً بهذا التراث الغربي المادي الضخم الذي قام بالمادة وللمادة وحدها ، بل عليه أن يرعى حق روحه ونفسه ، فيجعل ذاته مما ورثه من

آبائه وأجداده الغرّ الميامين من الأخلاق العالية والصفات النبيلة فيؤمن بأن الرحمة والسلام والإخاء والصدق والوفاء والإخلاص والعدل والعفو شيم وطباع حثه دينه ووطنه وتاريخه عليها ، فلا مفرّ له من التحمل بها وتطبيقها عملياً في جوه الفردي وفي بيئته الخاصة ما استطاع الى ذلك سبيلاً ! . . . فلنأخذ من مدنية الغرب وحضارته ما استطعنا ، على أن يكون ذلك مدعماً ومطعماً بما لدينا من روحانيات وأخلاقيات بها يكون الانسان إنساناً !!

والأقطار العربية اليوم تشكو تدابر أفرادها وتقاطعهم ، فلا زيارات ولا رحلات ولا تراسل ، ولولا ما هنالك من أحداث سياسية تضطر ولاة الأمور في أقطار العروبة الى التلاقي وعقد المؤتمرات أو الاجتماعات في بعض المناسبات لكانت الشكوى من هذا التقاطع صارخة بالغة عنان السماء ! ! . . . وهم يقولون فيما يقولون حينما يتحدثون عن نهضة العرب إن العرب لن يستردوا عزتهم إلاّ بسبيل الاتحاد والقوة ، والقوة لا تأتي ولا تتحقق إلاّ إذا سبقها الاتحاد ، والاتحاد لا يتحقق إلاّ إذا تعارف الافراد المتحدون ، لأنهم لا يستطيعون الوحدة ما داموا متنكرين متجاهلين متقاطعين ، لذلك يحسن بالشاب العربي أن يتعارف مع أكبر عدد ممكن من اخوانه شبيبة العرب في سائر الأقطار الشقيقة ، وأن ينظم معهم المراسلات التي يشرحون فيها حاضر بلادهم وخواطر أنفسهم وخفقات قلوبهم ، وما يتطلعون إليه من مستقبل مشرق سعيد ، ولا زلت أعترف بأن أكثر المعلومات التي حصلتها عن البلاد العربية الشقيقة يرجع الفضل فيه إلى تلك الرسائل الكريمة التي كانت تصلني من إخوان كرام تعرّفت إليهم من أبناء العراق والشام والحجاز ! ! . .

كذلك لن أنسى أن أذكر بالخير تلك المجلات التي تخصص من صفحاتها جانباً لتأكيد هذا التعارف بين شباب العروبة بذكر أسماء وعناوين الأشخاص الذين يريدون التعارف في كل قطر عربي ، فهذا مجهود وطني مذكور مشكور ، وكم أتمنى أن تظهر في البلاد العربية مجلات أو مجلة على الأقل تقف جهودها على توثيق العلاقات الشخصية والأدبية بين أبناء البلاد العربية ، وذلك بنشر أسماء الراغبين في التعارف وعناوينهم وصناعاتهم ، وتنشر الى جانب ذلك أبحاثاً بأقلام هؤلاء الشباب من أقطارهم وخواطرهم وآمالهم وآلامهم وغير ذلك ! ! . .

أنا كفيل بأن هذه المجلة إذا ظهرت تذيع وتشيع ، ويتأهل مركزها حتى تباع في

مسافة قليلة من الزمن مرتبة كبريات الصحف والمجلات في الشرق العربي ، وبخاصة إذا نظرنا لدى القائمين بها عامل الصدق والاخلاص في هذا المجهود ، فهل من متقدم إلى الميدان ؟

والشاب العربي في حاجة إلى أن يدرس ما كان لاسلافه العرب الأوائل من محامد ومفاخر ، دانوا بها الزمان وحلوا بجبهاتها جيد الأيام ، وما ضمنوه صفحات التاريخ الباقي من مواثيق امتازوا بها عن سواهم وحرصوا عليها ، حتى تكون هذه المفاخر الرائعة من أقوى الحوافز للشاب العربي تحفزه إلى أن يتشبه بالذين سلفوا من آبائه ، ويسير على طريقتهم ، ويهتدي بهديهم ، وينسج على منوالهم ، وكذلك يجب عليه أن يدرس في الاسلام من تعاليم خلقية واجتماعية واقتصادية ، حتى ولو كان الشاب العربي غير مسلم ، فلسنا نحرضه على ترك عقيدته الدينية بطريق غير شريف ، وإنما نحب له أن يطلع على تلك الجوانب المشرقة في دين الاسلام من جهة الاخلاق والاجتماع ، والقرآن الكريم بعد هذا أو قبل هذا يقول : « لكم دينكم ولي دين » .

والاسلام إنما جاء بلغة العرب وللعرب أولاً ، وإن كان للناس كافة بعد ذلك وانتشر الاسلام بمجهود العرب ، وكذلك كسب العرب كثيراً من المفاخر بانتسابهم إلى الاسلام ، واستظلالهم بلوائه ودخولهم في دولته ، سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين ، فالصلة على هذا وثيقة جداً بين العروبة والاسلام ، وكما يجب على المسلم أن يعتز بالعرب والعربية ، يجب على العربي إن يعتز بالاسلام وتعاليم الاسلام ، حتى يكون لنا من هذا الترابط قوة ومنعة واتحاد !! . .

ومن اللائق بالشاب العربي في هذا العصر المجاهد المكافح أن يجعل له ناحية في الحياة يبرز فيها ، ويبز أقرانه فيها ، فيعكف على أية هواية شريفة ، أو ناحية مفيدة ، في العلم أو الادب أو الفن أو الصناعة ، ليقصر عليها جانباً كبيراً من نشاطه ، ويستنفد فيها أوقات فراغه ، حتى يتقنها ويجيدها ويبرها ، ويصبح علماً من الاعلام فيها ، إذ لا يكفي اليوم أن يأخذ الانسان من كل فن بطرف كما كان يقول القدماء ، بل لا بد له فوق هذا من أن « يتخصص » في ناحية من النواحي ليسبق فيها غيره وسواه ، فنحن في نهضتنا الحاضرة نريد أن يكون فينا أدباء ممتازون ، وعلماء متخصصون ، ومخترعون مبتكرون ، وصناع ماهرون ، وأفذاذ في كل ناحية ، وأعلام في كل ميدان ، وهذا لا يتحقق إلا إذا وجدت روح « التخصص » عند الشاب العربي ، فأدى واجبه المعتاد في جميع المهمات الموكولة إليه ،

ثم اختص ناحية من هذه النواحي بقسط من العناية والرعاية حتى يوفى فيها على النهاية ويشرف على الغاية ، لأننا نحن العرب لا نشكو انعدام المجتمع المتوسط في علمه ومادته ، وقد يكون الجمهور عندنا في الجملة أرقى من جماهير كثيرة في نواحٍ كثيرة ، وإنما نشكو قلة العبقرة والممتازين في العلوم والفنون بيننا . وهؤلاء العبقرة هم الذين يصنعون على قلتهم تاريخ الأمم ، ويبنون مجدها ، ويبلغون بها الذروة من الحضارة والمدنية ، فما هو نوع امتيازك أيها الشاب العربي ؟ بل ما هي جهة « اختصاصك » التي برعت فيها ؟.. هل حاولت أن تكون رساماً بارعاً ، أو أديباً ممتازاً ، أو صانعاً حاذقاً ، أو موسيقياً فنّاناً ، أو خطاطاً مجيداً ، أو رياضياً قادراً ، أو شاعراً نابغاً ، أو أية ناحية من نواحي التفرد والنبوغ ؟! . . .

وكم أتمنى أن يعوّد الشاب العربي نفسه على أن يلزمها بتقديم خدمة يومية لبلاده دون أن يحتقر شيئاً في هذا السبيل ، فكم من أشياء يظنها تافهة وهي في الحقيقة والواقع تؤدي إلى خير عاجل أو آجل لبلده أو للعرب جميعاً ، فبحث عن تاريخ العرب خدمة ، ودفاع ضد متهجم عليهم خدمة ، وتصحيح خطأ في لغتهم خدمة ، وكتابة مقال عن مفاخرهم خدمة ، وظهورك بمظهر مشرف لهم في خلقك ومعاملاتك وعاداتك خدمة ، وصلوات الله وسلامه على رسول الاسلام الذي فسح ميدان الإحسان والبر ، فجعل الكلمة الطيبة تقولها لصديقك إحساناً ، والأذى تميطه عن الطريق إحساناً ، والابتسامة في وجه ملاقيك إحساناً ، ورد السائل رداً حسناً إحساناً ، وغير ذلك من وجوه الاحسان ، فلا تحتقر شيئاً أيها الشاب العربي في سبيل بلادك ، فان القليل إلى القليل كثير ، وكل ما نطمع فيه هو أن نوجد فيك الرغبة الصادقة الأكيدة في السير إلى الأمام ! ! . .

يا شباب العرب . . أنتم عدّة الوطن وعماده ، وركنه وسناده ، بكم يقوى ويعلو ، ويشتد ويسمو ، وأنتم الذين تكتبون تاريخه وتغيرون وجهته ، فإلى الأمام ! . .

إلى الأمام يا شبيبة العرب وكتيبة الغلب :. إلى الأمام يا جند النصر وأهل الصدر ! . .

إلى الأمام يا حزب الرحمن وقهر قالشيطان ! . . إلى الأمام والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم . هو ولي الصابرين ، ومثيب العاملين ، وناصر المجاهدين ، وهو نعم المولى ونعم النصير ! . .

أحمد الشرباصي
المدرس بالازهر الشريف